

تطور الاهتمام بقضايا المرأة الصحية في الصحافة المصرية المتخصصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

نيرمين عبد الغفار الصابر*

مقدمة

شهدت مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نهضة ثقافية نتجت عن ازدياد أعداد المتعلمين واهتمام الخديو اسماعيل باصدار الصحف، وهو ما صاحبه صدور الصحف العلمية المتخصصة التي كانت أسبق أنواعها إلى الصدور في مصر هي الصحف الطبية المتخصصة، فصدرت مجلة (يعسوب الطب) عام 1865 عن مدرسة الطب، وتلاها بعد ذلك صدور الصحف الطبية المملوكة لأفراد مع قدوم الاحتلال البريطاني الذي عمل على زيادة أعداد الصحف المتخصصة في مجالات غير سياسية ليدلل بها على الحرية التي وفرتها سلطات الاحتلال في البلاد¹.

إلا أن الأوضاع الاجتماعية خاصة أوضاع المرأة كانت على العكس من ذلك. فرغم بدء دعوات تحرير المرأة في كتابات رفاعة الطهطاوي التي تناولت وضع المرأة في المجتمع المصري وصولاً إلى كتابات قاسم أمين²، رغم ذلك استمر عصر "الحرملك" سائداً منذ فترة الحكم المباشر للدولة العثمانية لمصر والذي صنع مجموعة من السمات النفسية والاجتماعية كان أقلها سيادة النظرة الدونية للمرأة³.

ومع قيام دولة محمد علي بدأت مكانة النساء في الارتفاع تدريجياً حيث أنشأ مدرسة القابلات التي قامت المرأة من خلالها بممارسة مهنة الطب "وتم تدريب النساء ليصبحن طبيبات وعاملات صحيات من أجل المساعدة في السيطرة على الأمراض الوبائية التي أربكت البلاد"⁴. إلا أنه مع الاحتلال البريطاني وتدهور الأوضاع الصحية بالبلاد أهمل هذا الشكل من أشكال تعليم البنات الذي لم يكن مقبولاً

* مدرس مساعد - قسم الصحافة - كلية الاعلام - جامعة القاهرة

اجتماعيا إلى حد ما. ومع غياب الوعي بالنظافة والصحة العامة والعاملين المدربين جعل من المستشفيات القائمة في ذلك الوقت مصدر خطر للمرضى، وكانت النساء بوصفهن الراعيات الأساسيات والمعتنيات بالمرضى من أفراد العائلة معرضات على وجه الخصوص لتدخلات الدولة في الرعاية الصحية، وذلك من خلال المحاولات المتكررة للسيطرة على عمل الدايات (القابلات أو المولدات)، ومع انتشار الأوبئة كان يتم الدفع بخريجات مدرسة القابلات للعمل في الفرق الصحية نظرا لحاجة الدولة لخدماتهم في مجالات الطب المختلفة. ولكن مع نهايات القرن التاسع عشر بدأت القابلات في فقدان مكانتهن وأطلق عليهن لقب (حكيمات) واقتصرت عملهن على طب النساء والتوليد فقط⁵.

ورغم ما يراه البعض⁶ من أن تغلغل الوجود الأجنبي في مصر قد ساعد على تقبل فكرة تعليم البنات حيث قام عدد من المصريين بارسال بناتهم إلى المدارس الأجنبية التي انتشرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلا أن هذا الوجود الأجنبي حمل أيضا بعض الأفكار التي أثرت على وضع المرأة في المجتمع المصري خاصة في مجال الصحة. حيث بدأت الأعراف الأوروبية للجنون التي استنقت أصولها من الطب النفسي الجديد في التغلغل إلى داخل البلاد لتحل محل الأعراف المحلية، وأدى ذلك إلى إحداث تغييرات في تعريف "الجنون" وتحول الأمر من التعامل مع المجنون على أنه مريض قابل للشفاء إلى مريض يجب استبعاده لما يشكله من خطر على المجتمع⁷.

وقد انتقلت هذه الأفكار على أيدي جيل من الأطباء من أبناء الطبقة الوسطى وانتشرت أولا بين طلاب مدرسة الطب الذين كونوا جيلا ثانيا من أطباء الأمراض العقلية بعد أن تشربوا بأفكار الجيل الأول وبدءوا يطبقونها عند ممارسة عملهم الطبي. وبدأت هذه الأفكار تنتشر تدريجيا بين العامة من الشعب الذين بدؤوا يسلمون ذويهم لهؤلاء الأطباء ويأتمنونهم على علاجهم طبقا لثقافتهم الخاصة ونظرياتهم الغربية وهو ما ظهر في ازدياد أعداد المرضى بالمستشفيات العقلية خاصة المرضى من النساء⁸.

وقد لعبت السلطات البريطانية دورا كبيرا في إرساء سياسة استبعاد المجانين عن ذويهم وفي إدخال ونشر أعراف وتعارف جديدة للجنون أثرت على الأعراف المحلية وغيرتها. وساهم في ذلك الأطباء – الأوائل- المحليون من خلال كتبهم التي ألفوها في هذا المجال وأعتبرت لفترة طويلة هي المرجع للأطباء حول المرض العقلي، وهي: كتاب "أسلوب الطبيب في فن المجانين" للدكتور سليمان نجاتي الذي نشر عام 1896 وكتاب "صحة المرأة في أدوار حياتها" للدكتور أحمد عيسى ونشر عام 1904، وكتاب "طب الركة" للدكتور عبد الرحمن اسماعيل والذي نشر عام 1894⁹.

وفي أواخر القرن التاسع عشر كان المسئولون البريطانيون يشجعون قيام أنظمة صحية في مصر تستلهم النموذج الأوروبي الذي كان يقيد أدوار النساء، مع ضعف شديد في التمويل حيث رأى كرومر أن عبء مسئولية الصحة والصرف الصحي بالنسبة للسكان يجب ألا يقع على عاتق الدولة، وتم ترك النساء ومشاكلهن الصحية الأساسية في نطاق هامشي في أيدي المؤسسات الخيرية الخاصة¹⁰.

فكانت ادارة مستشفى الأمراض العقلية مضطرة إلى إخراج عددا من المرضى قبل ان يتم شفاؤهم، وكان العدد الأكبر ممن يتم اخراجهم من النساء، اللاتي كن تعانين من نظرة تمييزيه أخرى - انتشرت في الأوساط العلمية في تلك الفترة أيضا - تمثلت في الاعتقاد بالدور البالغ للوراثة في المرض العقلي¹¹، وهو ما كان لقضية "التحسين الوراثي للانسان" أو ما يسمى بـ "اليوجينيا" دورا كبيرا فيها وكانت هذه الفكرة واسعة الانتشار في نهايات القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين¹².

إلا أن هذه الأفكار التمييزية العنصرية التي انتقلت من الأوساط العلمية الطبية إلى مناحي الحياة المختلفة ظلت في مواجهة مع أفكار محلية أخرى لم تمكنها من السيطرة على مناحي مختلفة منها القضاء¹³ على سبيل المثال.

الدراسات السابقة:

اتسمت الدراسات السابقة في مجال العلاقة بين الصحافة العلمية وقضايا المرأة الصحية بشكل عام بالندرة سواء في الدراسات الأجنبية او العربية. وكانت الدراسات الأجنبية هي الأكثر تناولا للعلاقة بين وسائل الاعلام بشكل عام وصحة المرأة تاريخيا، فاهتمت بدراسة العلاقة بين صحة المرأة وخاصة - صحتها العقلية- وكيفية تصوير الروايات لها¹⁴، ودراسة الكتابات الأدبية للمرأة الأفريقية عن الجنون والقوة¹⁵، وكذلك دراسة السير الذاتية لنساء اعتبرن مريضات عقليا للتعرف على خبراتهن مع الجنون¹⁶، وتأثر الأدب بتطور علم النفس ونظرياته فيما يخص المرأة وتصويرها في أدب القرن التاسع عشر¹⁷، ودراسة تصوير السينما للمرأة المجنونة فيما بعد الحرب العالمية الثانية¹⁸، وبحث خضوع المرأة التاريخي للرجل وربط هذا الخضوع بتاريخ العلم وتاريخ الجنون¹⁹.

كما اهتمت الدراسات العربية بالدور الذي قامت به الكتب في نقل الأفكار العلمية التمييزية ضد المرأة في القرن التاسع عشر من أوروبا إلى مصر²⁰، ورصدت القضايا الصحية للمرأة في اطار تاريخها لنشأة وتطور الصحافة الطبية المتخصصة في مصر²¹. أما الدراسات الأجنبية فاهتمت بدراسة كيفية تصوير الصحافة النسائية للعلاقة بين الصحة و"طبيعة" المرأة خلال القرن التاسع عشر²²، وتناول حق المرأة في قيادة الدراجة والتأثير الصحي لذلك عليها²³.

وانطلقت معظم هذه الدراسات من أفكار النظرية النسوية، واستخدمت الدراسات السابقة جميعها المنهج التاريخي، واستخدم بعضها أدوات تحليل المضمون والبعض الآخر تحليل الخطاب في حين اكتفى بعضها بالتحليل التاريخي للنصوص المدروسة.

وتوصلت الدراسات السابقة إلى عدد من النتائج كان أهمها:

أن تعريف الجنون كان خاليا من ربطه بالجنس حتى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بفعل المؤسسات التي كانت موجودة في ذلك الوقت²⁴، وتغير مفهوم

الجنون من الضعف وعدم القدرة على السيطرة إلى كونه وسيلة للتمكين وذلك في كتابات النساء السود²⁵. وعملت الكتب على نقل الأفكار العنصرية العلمية من الغرب إلى الشرق على أيدي الأطباء النفسيين الذين تم بعثهم لأوروبا لنقل العلم الغربي إلى مصر²⁶.

وتأثر الأدب بالنظريات الخاصة بعلم النفس في القرن التاسع عشر فيما يتعلق بصحة المرأة العقلية²⁷. واستخدام الكتاب لشخصية المرأة المجنونة للتعبير عن رفض القيود المجتمعية المفروضة على المرأة²⁸. وتصوير الروايات للصراع بين الصحة العقلية للمرأة وتكوينها الجسدي بأنه يؤدي "حتمًا" إلى إصابتها بالجنون²⁹.

كما استطاعت الصحافة الطبية المتخصصة في مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن تناقش بعض القضايا والموضوعات الصحية الخاصة بالمرأة وأن تربطها بالسياق الاجتماعي في مصر خلال نفس الفترة³⁰.

التعليق على الدراسات السابقة:

ندرة الاهتمام بدراسة قضايا المرأة الصحية في الصحف المصرية من المنظور التاريخي، وتركيز الدراسات الأجنبية على دراسة العلاقة بين ربط الجنون بالمرأة وتأثير ذلك على تطورها تاريخياً، وتنوع الدراسات السابقة من حيث المصادر التي تناولتها بالدراسة كالروايات والشعر والقصة القصيرة والكتب التعليمية والصحف، وان كانت الصحف هي الأقل في هذا الشأن.

المشكلة البحثية:

تنبع أهمية هذه الورقة البحثية من كونها تساهم في سد الفجوة في مجال الدراسات الخاصة بالعلاقة بين المرأة والتاريخ الصحي لها في مصر، وتعمل على رصد موقف الصحافة العلمية المتخصصة في مصر من الأفكار العلمية التمييزية ضد المرأة، وبالتالي مدى مساهمتها في تحسين أوضاع المرأة والنهوض بها في المجتمع المصري خلال تلك الفترة.

حيث تتحدد مشكلة الدراسة في التعرف على مدى اهتمام الصحف العلمية الطبية الصادرة في مصر (مجلات: الصحة و الفوائد الصحية كمجلات متخصصة موجهة للجمهور العام ، ومجلات يعسوب الطب والشفاء كمجلات موجهة للجمهور المتخصص) بالموضوعات الصحية الخاصة بالمرأة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومدى تأثر كتاب هذه الصحف بالأفكار العلمية التمييزية ضد المرأة التي شغلت الأوساط العلمية في أوروبا خلال نفس الفترة.

الأهداف:

1. رصد القضايا والموضوعات الخاصة بصحة المرأة التي ناقشتها الصحف الطبية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.
2. رصد مدى تأثر كتاب الصحف الطبية المتخصصة بالأفكار الغربية العلمية التمييزية ضد المرأة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.
3. تحليل القضايا والموضوعات الخاصة بالمرأة في الصحف الطبية المتخصصة في ضوء أوضاع المرأة في المجتمع المصري خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.
4. تفسير موقف الصحف الطبية المتخصصة من الأفكار العلمية الغربية الخاصة بالمرأة.

التساؤلات:

1. ما القضايا والموضوعات الخاصة بصحة المرأة التي ناقشتها الصحف الطبية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر؟
2. ما مدى تأثر كتاب الصحف الطبية المتخصصة بالأفكار الغربية العلمية التمييزية ضد المرأة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر؟

3. كيف ناقشت صحف الدراسة القضايا والموضوعات الخاصة بالمرأة في الصحف الطبية المتخصصة في ضوء أوضاع المرأة في المجتمع المصري خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر؟
4. لماذا اتخذت الصحف الطبية الصادرة في مصر هذه المواقف من الموضوعات والافكار العلمية الخاصة بالمرأة؟

الاطار النظري للدراسة:

النظرية النسوية:

ترتبط النظرية النسوية أو الاتجاه النسوي بشكل عام بحركة تحرر المرأة، التي يؤرخ البعض لها بداية من الثورة الفرنسية³¹ والبعض الآخر يؤرخ لها منذ بداية النصف الأول من القرن التاسع عشر³²، وتطورت النظرية مع تطور حركة تحرر المرأة.

وارتكزت نقطة البداية للفكر النسوي على افتراض وجود تجارب مشتركة بين جميع النساء وهي تجارب مبنية على القهر الذي يتعرضن له في المجتمعات المختلفة بسبب النوع. ومع تطور النظرية رأت الباحثات في هذا الاتجاه ضرورة الاعتراف بوجود حركات نسوية متعددة لا حركة نسوية واحدة وذلك من خلال الأخذ في الاعتبار اختلاف أولويات العمل لدى كل حركة طبقا للاختلافات الثقافية بين النساء في الدول المختلفة³³.

وتفترض بعض النسويين أن هذا الاضطهاد والقهر يرجع إلى الطريقة التي ينتظم من خلالها بناء المجتمع الذي يطلق عليه النظام الأبوي. ويفترض فريق آخر من النسويين أن الظلم والاضطهاد والخضوع والتبعية والكبت الواقع على الإناث يمثل نمطا فرعيا في أي نظام للعلاقات الاجتماعية ليس فقط على السلطة الأبوية بل يشمل العلاقات الانسانية كلها والتي تتشكل من خلال التبعية والعنف والمنافسة، ومن ثم فهم يفترضون أن سقوط النظام الطبقي سيجتنب عليه القضاء على الاضطهاد الواقع على الأنثى. بينما يعارض العديد من النسويين مفهوم السلطة الأبوية ويؤكدون

أن القهر والإضطهاد والوضع المتدني للأنثى يرجع إلى العلاقات الاجتماعية للنوع، إذ تفترض ان عملية الانجاب وما يترتب عليها من علاقات تعد الأساس في تفسير القهر ، إذ أن دور الأنثى في الانجاب هو المسئول عن تدني وضعها ومكانتها الاجتماعية³⁴.

وتنظر النظرية النسوية إلى وسائل الاعلام باعتبارها مثل الأسرة والكنيسة والعمل والتعليم فهي مؤسسة اجتماعية ذات قوة، كذلك تعد أداة اجتماعية داخل المجتمع البشري تساعد في تكريس هذا الوضع المختل بطريقة أو أخرى من خلال تناولها لقضايا المجتمع في كافة مجالاته وفق منطق ذكوري وأنها تعمل وفقا لعنصرين: أحدهما مادي والآخر بشري، وهذا العنصر البشري هو الذي يدير هذه الوسائل وبالتالي توجد هذه الوضعية المنقوصة والتي تتواجد في أي تجمع بشري تسوده تلك الأفكار، حيث تبرز الاختلافات بسبب النوع في أي منظمة إنسانية اجتماعية³⁵. وقد ركزت دراسات النسوية في مجال الاعلام على قضية النوع من خلال دراسة الصورة النمطية التي تقدمها وسائل الاعلام للمرأة وتأثير هذه الصورة على الجمهور³⁶.

وقد ساعدت الصحافة لفترات طويلة – كأحدى مؤسسات المجتمع الذكوري- على تدعيم صورة المرأة والرجل على أساس تمييز الرجل على المرأة وإبراز اهتمامات المرأة باعتبارها أنثى فقط وليس كإنسان ذي اهتمامات متعددة ، ومنها ما تتساوى فيه مع الرجل، فالحقيقة هي المساواة والتمييز هو الخرافة، ومن ناحية أخرى اعتمد النسويون على الصحافة كوسيلة لتعزيز تلك النهضة والتي شكلت سلاحا فعالا في معركة التحرر النسوي³⁷.

وتستخدم الباحثة هذه النظرية لتفسير تناول الصحف العلمية المتخصصة في الطب سواء الموجهة للجمهور العام او الجمهور المتخصص للموضوعات والقضايا الصحية الخاصة بالمرأة في النصف الثاني من القرن العشرين وما اذا كانت تدعم هذه النظرة التمييزية ضد المرأة والتي سادت أوروبا في نفس الفترة، أم تقف ضدها،

وحدود الدور الذي قامت به هذه الصحف لنقل هذه الأفكار إلى المجتمع المصري أو محاربتها.

الإطار المنهجي:

نوع الدراسة: دراسة تاريخية تتناول فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر للتعرف على الأفكار والموضوعات العلمية الخاصة بالمرأة وتحليلها وتفسيرها في إطار أوضاع المجتمع المصري وموقع المرأة فيه خلال نفس الفترة وذلك للوقوف على مدى تأثير كتاب هذه الصحف بالأفكار العلمية الغربية الخاصة بالمرأة والتي سادت أوروبا خلال هذه الفترة.

المناهج المستخدمة: المنهج التاريخي لدراسة الصحافة الطبية المتخصصة وتناولها للقضايا الصحية للمرأة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أدوات الدراسة: أدوات التحليل التاريخي، لجمع المادة من مصادرها الأولية والثانوية وتحليلها وإعادة تركيبها مع تقديم تفسيرات لها.

الإطار الاجرائي:

مجتمع الدراسة: الصحف الطبية المتخصصة سواء الموجهة لجمهور الأطباء أو الموجهة للجمهور العام والصادرة في مصر خلال فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لما كانت تقوم به دور في نقل الأفكار العلمية الغربية إلى المجتمع المصري وإلى جمهور الأطباء بلغتهم العربية.

العينة: العينة الزمنية: الفترة من 1865 حتى 1899 والتي صاحبت ظهور أوائل الصحف الطبية المتخصصة في مصر وهي صحيفة يعسوب الطب 1865 كما شهدت هذه الفترة كثافة حركة الترجمة العلمية للكتب الطبية وما صاحبها من انتقال للأفكار العلمية التي سادت الغرب في تلك الفترة والتي تعلق جزء منها بأوضاع المرأة في المجتمع. وتوقفت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

العينة المكانية: تمثلت في صحيفتان طبيتان متخصصتان موجهتان إلى الجمهور العام، وهي: مجلة (الصحة) 1887 - 1893 أصدر المجلة د.حسن بك رفاي وكان نسيب العائلة الخديوية وعمل حكيم من الدرجة الأولى بإدارة الصحة العمومية، وإبراهيم بك مصطفى وكان ناظرا لمدرسة دار العلوم ومدرسا للكيمياء بالمدرسة الطبية³⁸، ومجلة (الفوائد الصحية) 1891 - 1902 والتي أصدرها د.شلوب وهو طبيب سوري الأصل من خريجي المدرسة العليا بباريس³⁹.

وصحيفتان متخصصتان موجهتان إلى جمهور الأطباء، وهي: (يعسوب الطب) 1865 - 1870 التي أصدرتها مدرسة الطب وأشرف على تحريرها د.محمد علي البقلي رئيس الأطباء في مصر ورئيس المدرسة الطبية في ذلك الوقت⁴⁰، و(الشفاء) 1886 - 1891 أصدرها د.شلي شميل وهو أحد الأطباء الشوام الذين قدموا إلى مصر واستقروا فيها، وشاركه في تحريرها د.هربرت ميلتون رئيس مستشفى قصر العيني في ذلك الوقت⁴¹.

نتائج البحث:

توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج كان أهمها:

اهتمت المجالات الصحية الموجهة إلى الجمهور العام فيما يخص قضايا وموضوعات المرأة بقضايا صحية ذات طابع اجتماعي بالإضافة إلى موضوعات صحية أخرى، وكانت مجلة (الفوائد الصحية) أكثر ثراء وتنوعا بالنسبة للموضوعات التي ناقشتها. واتسمت موضوعاتها بسمة تصحيح المعتقدات والأفكار الخاطئة لدى الجمهور حول مسائل الحمل والحيض ونسبة العقم للنساء دون الرجال وأضرار مستحضرات التجميل. وحذرت المجلة من اللجوء إلى القابلات في علاج أمراض النساء المختلفة وشجعت على الذهاب إلى الطبيب، ووفرت في عيادة صاحب المجلة "حكيمه أوروبوية (الست ديروزا) لعلاج الحريمات المسلمات"، كما أعلنت المجلة لقرائها مع نهاية السنة الأولى لها.

أما مجلة (الصحة) فركزت اهتمامها بموضوعات الصحة الخاصة بالمرأة في موضوعين اثنين وهما: تأهيل القابلات ودور المرأة في نقل الأمراض المعدية. فهاجمت المجلة الدايات\القابلات من خلال عرض تجارب لأخطاء ارتكبتها أثناء علاج أو توليد بعض السيدات، وطالبت المجلة بضرورة إعادة تأهيلهن، وقدمت نصائح لهن حول تعقيم الأدوات غيرها، وطالبت في بعض المواقع بمعاقبتهن.

واهتمت أيضا مجلة (الصحة) بدور المرأة في نقل الأمراض التناسلية المعدية كالزهرى وطالبت بأن يتم "اقتفاء أثر هذا المرض لدى المومسات أو العاهرات من أجل حماية وصيانة المرأة العفيفة والأطفال من انتقال العدوى إليهم. وان ذلك يصب في النهاية في مصلحة الهيئة الاجتماعية ككل"⁴². كما حذرت من انتقال المرض إلى الأسر العفيفة من خلال المرضعات المصابات بالمرض.

أما المجالات الموجهة إلى جمهور الأطباء فكان الاهتمام بموضوعات وقضايا المرأة قليلا في مجلة (يعسوب الطب) فلم تتناول سوى موضوع في "فن القبالة"⁴³ للقبالة جليلة تمرهان، وكان عبارة عن فصول من كتاب ترجمته عن الفرنسية حول أصول هذا الفن. بالإضافة إلى نشر المجلة لبعض المشاهدات العملية حول جراحات النساء الناتجة عن مشكلات في الولادة. ولم تتخذ الموضوعات المنشورة فيها أي طابع اجتماعي فيما يخص وضع المرأة. كما جاء تناول المجلة لموضوع الأمراض العصبية – أو "الخوريا" – بشكل محايد تماما اقتصر على تقديم المرض بتمييزه عن أمراض عصبية أخرى ثم عرض مشاهدة عملية لمريض ذكر مصاب بهذا المرض⁴⁴، دون أية إشارة إلى دور النوع في الإصابة بالمرض.

أما مجلة (الشفاء) فاتخذت فيها موضوعات المرأة أبعادا مختلفة، حيث ظهرت في إطار مناقشة قضايا اجتماعية كعدم تقبل المجتمع لمسألة كشف الطبيب الرجل على المرأة خاصة فيما يتعلق بأمراض النساء والولادة⁴⁵، كما دافعت المجلة عن المرأة المصابة بالزهرى وذلك في إطار استعراضها لطرق العدوى المختلفة بهذا الداء. وطالبت المجلة بضرورة اقتصار الزواج على الزواج من امرأة واحدة في إطار استعراضها لأحد الكتب⁴⁶.

أما الموضوعات ذات البعد الطبي المتخصص فتتنوعت ما بين مشاهدات عملية حول عمليات جراحية خاصة بجراحات النساء وأمراض أخرى⁴⁷ كـ"انخلاع القلب" و "الكلية المتحركة"، بالإضافة إلى مشاهدات حول موضوعات تجميلية للمرأة. كما تناولت المجلة أيضا مسألة تأثير نوع المريض على -سواء ذكر أو أنثى- على اشتداد او انخفاض أعراض الأمراض لديه خاصة الأمراض العصبية وكونها تكون أكثر شدة في النساء عنها في الرجال⁴⁸. والحديث عن مرض "الخوريا او رقص ماري انطوانيت"⁴⁹ وأعراضه كمرض يصيب النساء فقط. بالإضافة إلى تناول موضوعات الولادة والحمل والرضاعة.

الخاتمة:

تناولت هذه الورقة البحثية تطور الاهتمام بموضوعات وقضايا المرأة في المجالات الطبية المتخصصة بنوعيتها الموجهة للجمهور العام والموجهة للجمهور المتخصص خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، للتعرف على مدى تأثيرها بالأفكار العلمية العنصرية ضد المرأة التي ظهرت في أوروبا خلال نفس الفترة، وحدود الدور الذي لعبته هذه المجالات في نقل هذه الأفكار إلى المجتمع المصري.

ومن خلال استخدام المنهج التاريخي وأدواته التحليلية، وبالتطبيق على: مجلة "الفوائد الصحية" (1891-1902) ومجلة "الصحة" (1887-1893) كمجلات متخصصة موجهة إلى الجمهور العام، ومجلة "يعسوب الطب" (1865-1870) ومجلة "الشفاء" (1886-1891) كمجلات متخصصة موجهة إلى جمهور الأطباء.

توصلت الباحثة إلى أنه لم يظهر تأثير المجالات الصحية الموجهة إلى الجمهور العام بالأفكار العنصرية ضد المرأة فيما يتعلق بأفكار الصحة العقلية والتي لم تناقشها هذه المجالات. بينما ظهر تأثيرهم بالأفكار التمييزية ضد المرأة من خلال إلقاء اللوم على المرأة في نقل الأمراض التناسلية المعدية كالزهري وذلك في إطار تقديم مقترحات للحد من انتشاره.

كما هاجمت المجالات الصحية الموجهة للجمهور العام دور المرأة كمقدمة للخدمة الصحية، فهاجمت عمل القابلات، ورغم أنها قدمت لهن بعض النصائح وطالبت بضرورة العناية بتأهيلهن، إلا أنها شجعت فكرة تقدم الخدمة الطبية للنساء من خلال طبية وفرتها في عيادة صاحب مجلة "الفوائد الصحية" في أوقات معينة.

وفي نفس الوقت دافعت هذه المجالات عن المرأة وعملت على تصحيح المفاهيم والمعتقدات الخاطئة الخاصة بربط العقم بالنساء دون الرجال، وما كان يترتب عليه من آثار اجتماعية سلبية على المرأة.

أما المجالات الطبية الموجهة لجمهور متخصص فلم تتأثر المجلة التي أصدرتها مدرسة الطب وهي مجلة "يعسوب الطب" بالأفكار العلمية التمييزية ضد المرأة التي دعا إليها بعض أساتذة المدرسة في كتبهم الخاصة بالطب النفسي⁵⁰ والتي استقوها من الأفكار العلمية الغربية في نفس الفترة.

وعلى العكس من ذلك ظهر تأثير مجلة "الشفاء" - التي أصدرها د. شبلي شميل وعمل من خلالها على نقل المعارف العلمية الحديثة لمجموع الأطباء في كافة أنحاء القطر المصري- بهذه الأفكار من خلال ما قدمته من موضوعات حول إصابة النساء بالجنون أو الأمراض العصبية عموماً وربطها بالتكوين البيولوجي للمرأة والتعامل مع ذلك على أنه حقيقة علمية مطلقة. بالإضافة إلى اسناد حدوث بعض الأمراض في النساء دون الرجال بناء على مشاهدات عملية للطبيب دون تفسير سبب ذلك الاختلاف النوعي بين الرجل والمرأة. بالإضافة إلى وضع شروط خاصة بالحالة العقلية للمرأة التي تقوم بالارضاع، تأثراً بالأفكار الخاصة بانتقال الامراض العقلية من خلال الرضاعة.

وتخلص الباحثة إلى ظهور تأثير الصحفيين العلميين في مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالأفكار العلمية التمييزية ضد المرأة، واختلاف ذلك ما بين الصحف الموجهة إلى جمهور عام والصحف الموجهة لجمهور متخصص.

فكان دور المجالات الموجهة إلى الجمهور العام واضحا في الترويج لدور المرأة في نقل الأمراض التناسلية المعدية وربط ذلك بالانحراف، وهو ما يتمشى مع أفكار المجتمع المحافظ الذي صدرت فيه هذه المجالات، في حين دافعت المجالات الموجهة للأطباء عن المرأة في هذا الشأن.

ولعبت المجالات دورا في نقل هذه الأفكار فيما يتعلق بمسألة جنون المرأة وربطه بطبيعتها البيولوجية، حيث نقلت هذه الأفكار دون دخول في جدالات علمية حولها مثلما دخلت في جدالات علمية حول موضوعات أخرى⁵¹. وكان دور المجالات الموجهة للأطباء أكثر وضوحا في هذا الشأن.

وهؤلاء الصحفيين العلميين هم أطباء شوام تلقوا تعليمهم في أوروبا، وعملوا على نقل الأفكار العلمية الأوروبية إلى مصر، في حين لم يظهر ذلك في المجلة التي أصدرتها مدرسة الطب والتي كان يحررها تلامذة المدرسة، وهو عكس ما توصلت إليه (هدى السعدي) في دراستها حول الجنون والمرأة⁵² وتوصلت فيه إلى أن أساتذة مدرسة الطب هم من نقلوا هذه الأفكار العنصرية ضد المرأة من خلال كتبهم التي وضعوها في الطب النفسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

كما ان بعض هذه المجالات شارك في تحريرها - خاصة ما صدر منها بعد الاحتلال البريطاني لمصر- أطباء بريطانيون (كهريبت ميلتون في مجلة الشفاء) فكانوا يعبرون من خلال كتاباتهم هم أيضا عن الأفكار العلمية الغربية التمييزية ضد المرأة في تلك الفترة.

هوامش الدراسة:

- 1 نيرمين الصابر: **المجلات العلمية المتخصصة في مصر - دراسة تاريخية في الفترة من 1865 حتى 1914**، رسالة ماجستير، غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، قسم الصحافة، 2010)، ص: 413-416
 - 2 محمد كمال يحيي: **الجدور التاريخية لتحرير المرأة المصرية في العصر الحديث، دراسة عن مكانة المرأة في المجتمع المصري خلال القرن التاسع عشر**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983)، ص: 9 و 10
 - 3 يونان لبيب رزق: **المرأة المصرية بين التطور والتحرر 1873-1923**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002)، ص: 21-25
 - 4 جوديث تاكر: **نساء مصر في القرن التاسع عشر**، ترجمة وتقديم: هالة كمال، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2008)، ص: 269
 - 5 جوديث تاكر: مرجع سابق، ص: 276 و 277
 - 6 يونان لبيب رزق: مرجع سابق، ص: 21-25
 - 7 هدى السعدي و رمضان الخولي: **الجنون والمرأة في مصر نهاية القرن التاسع عشر**، (القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، 2004)، ص: 2 و 3
 - 8 هدى السعدي و رمضان الخولي: مرجع سابق، ص: 2
 - 9 هدى السعدي و رمضان الخولي: مرجع سابق، ص: 4 و 5
 - 10 جوديث تاكر: مرجع سابق، ص: 269 و 280
 - 11 هدى السعدي و رمضان الخولي: مرجع سابق، ص: 21 و 22
 - 12 أحمد مستجير: **في بحور العلم (2)**، سلسلة بحور العلم، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2013)، ص: 9 و 11
 - 13 هدى السعدي و رمضان الخولي: مرجع سابق، ص: 26
 - 14 انظر دراسات:
 - Andrea Hilda Brunholz: **Third World Women and Madness: Body against Mind**, M.A. The American University, 1991
 - Stephanie A Wakefield: **Women And Madness in Timothy Findley's The Last of The Crazy People The Wars And Headhunter**, M.A., (Canada: Dalhousie University, 1997)
 - Darlene Chase Stonewall: **Women and Madness in Literature: A Cultural Reflection of Nonconformity**, M.A., (U.S.A.: Eastern Michigan University, 2000)
 - Mary Orijeji Mba: **Saved by madness: Responses and reactions to domestic violence against women in Francophone African novels**, Ph.D., (U.S.A: University of Kansas, 2014)
- Link:
<http://search.proquest.com.ugrade1.eul.edu.eg:2048/docview/1556639272?accountid=37552>
- 15 Chandra Tyler Mountain: **Bodies of Knowledge: Madness and Power in Africana Women's Texts**, Ph.D. , (USA: University of Florida, 2001)
 - 16 دراسات:

- Susan Jane Hubert: **Questions of power: The politics of women's madness narratives**, Ph.D. , (USA: Western Michigan University, 1998)
- link:
<http://search.proquest.com.ugrade1.eul.edu.eg:2048/docview/304455512?accountid=37552>
- Amy Patricia Weiss: **Autobiographies of Women's Madness: Evidence of Both Agency and Silence**, M.A. , (U.S.A.: Eastern Michigan University, 2000)
- 17 Katherine Brundan: **Mysterious Women: Memory, Madness, And Trauma in The Nineteenth Century sensation Narrative**, Ph.D. , (U.S.A. : University of Oregon, 2006)
- 18 Claudia Consolati: **Sacred Madness: Women, Religion, and Folly in Postwar Italian Cinema**, Ph.D. , (U.S.A.: University of Pennsylvania, 2014)
- 19 Margaret Denike: **Witches, Madness and The Hermeneutics of confession Sexual Difference and Foucault's "History of Truth"**, Ph.D., (U.S.A.: York University, 1997)
- 20 هدى السعدي ورمضان الخولي، مرجع سابق
- 21 نيرمين الصاير، 2010
- 22 Eliane Stratford: **Health and Nature in The 19th Century Australian Women Popular Press**, Health and Place, Elsevier, June 1998
- Christine Neejer: 2011 23
- 24 Margaret Denike, 1997
- 25 Chandra Tyler Mountain, 2001
- 26 هدى السعدي ورمضان الخولي،
- 27 Katherine Brundan, 2006
- 28: دراسات Darlene Chase Stonewall, (2000) و (Stephanie A Wakefield, 1997
- 29 Andrea Hilda Brunholzl, 1991
- 30 نيرمين الصاير ، 2010
- 31 انظر:
- Johon Charvet: **Feminism**, J.M.Dent and Sons Ltd (London: Melbourne and Toronto, 1982) -
- و شيماء أحمد فصيح: **التعلم المستمر لتمكين المرأة الريفية في ضوء اتجاهات الحركة النسوية**، رسالة ماجستير، (معهد الدراسات التربوية: قسم -أصول التربية، 2014)
- 32 هدى الصدة: **أصوات بديلة - المرأة والعرق والوطن في العالم الثالث**، ترجمة: هالة كمال، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2002)
- 33 هدى الصدة: مرجع سابق، ص: 15 - 21
- 34 إحسان سعيد: **صورة المرأة المصرية في سينما التسعينات**، (الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية، مركز الفنون،)، ص: 71

- 35 أحمد زكريا أحمد: تحرير المجلات النسائية العامة في مصر وأثره في آدائها الصحفي خلال عامي 1996-1997 دراسة مسحية لمجلتي حواء ونصف الدنيا، رسالة ماجستير، غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، قسم الصحافة، 2001)، ص: 65
- 36 Lorraine Code: **Encyclopedia of Feminist Theories**, (London: London and New York,) , p: 324
- 37 أحمد زكريا أحمد: المرجع السابق، ص: 76
- 38 نيرمين الصابر: مرجع سابق، ص: 213
- 39 المرجع السابق، ص: 248
- 40 المرجع السابق، ص: 278
- 41 المرجع السابق، ص: 294
- 42 مجلة (الصحة)، العدد3، السنة الأولى، أكتوبر 1887، ص: 65-70
- 43 نيرمين الصابر: مرجع سابق، ص: 282
- 44 مجلة (يعسوب الطب)، ع 32، ثالث النسيء 1286، ص: 1-5
- 45 مجلة (الشفاء)، ج 4، السنة الرابعة، أول مايو 1890، ص: 134
- 46 مجلة (الشفاء)، ج 6، السنة الثالثة، 15 يوليو 1888، ص: 231
- 47 مجلة (الشفاء)، ج 4، السنة الثالثة، 15 مايو 1888، ص: 131
- 48 مجلة (الشفاء)، ج 5، السنة الثالثة، 15 يونيو 1888، ص: 165
- 49 نيرمين الصابر: مرجع سابق، ص: 343
- 50 هدى السعدي ورمضان الخولي: مرجع سابق.
- 51 نيرمين الصابر: مرجع سابق.
- 52 هدى السعدي و رمضان الخولي: مرجع سابق